

البيان اللغوي في تفسيره: البسيط للواحي، وجامع البيان للطبري،
والمفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين

Linguistic statement in my interpretation: Al-Basit by Al-Wahidi and Jami' Al-Bayan by Al-Tabari.

The Qur'anic vocabulary among linguists and commentators.

مصطفى كمال الزايد

Mustafa Kamal Alzaied

Alzayd7@gmail.com

رقم ORCID الخاص بكل باحث

<https://orcid.org/0009-0009-7937-1683>

بإشراف: د. هيثم محمد أبو زيد

جامعة الزيتونة الدولية

Zaytoonah International University

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

ماجستير لغة عربية

١٤٤٤-١٤٥ هـ / ٢٠٢٣-٢٠٢٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان البحث: البيان اللغوي في تفسيري: البسيط للواحي وجامع البيان للطبري.
والمفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين

الكلمات المفتاحية:

المفردة القرآنية، المفسرون اللغويون، تحليل اللفظ القرآني، تأصيل البيان اللغوي، التفسير البسيط، الواحي، جامع البيان، الطبري.

Keywords:

Qur'anic vocabulary, linguistic commentators, analysis of Qur'anic pronunciation, rooting the linguistic statement, simple interpretation, Al-Wahidi, Jami' Al-Bayan, Al-Tabari.

ملخص البحث:

ارتبط القرآن الكريم، كما لم يرتبط غيره من الكتب، بالدين واللغة معاً، فعكف عليه اللغويون، كما عكف المفسرون، بحثاً وتنقيباً وتمحيصاً، يشرحون مفرداته وآياته، يربطونها بأسباب النزول حيناً، وبالتشريع المستقبلي حيناً، فكثرت العلوم المتعلقة به والمنبثقة عن فهم كل فئة منهم لمعانيه ودلالاته وأحكامه. فكان هناك اختلاف في المناهج، فسعي اللغويين انصب على المعاني المعجمية للمفردات، في حين توسع المفسرون في ذلك، فأخذوا في الاعتبار أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وتوسعوا في شرح القصص القرآني، واستندوا إلى الإسرائيليات فيها. وفي هذا الإطار كانت هناك اختلافات أحياناً في شرح المفردة القرآنية وبيان معناها، باعتماد اللغويين على كلام العرب، واعتماد المفسرين على المأثور. كما كان هناك تلاقح بين استنباطات الطرفين، فأخذ كل منهم عن الآخر أشياء، وخالف في أشياء. ثم إن المفسرين الأوائل جاء بعدهم مفسرون أخذوا عن سابقين وعن اللغويين، فخلصوا إلى أشياء رجحوها، وخرج بعضهم باستنباطات جديدة، فاجتمعت مكتبة كبيرة من كتب التفسير، كان من أبرزها تفسير الواحي، وتفسير الطبري، وفي هذا البحث تناولت تأصيل البيان اللغوي في تفسيريهما، ثم قارنت بين تناول المفسرين واللغويين للمفردة القرآنية بين أصلها الاشتقاقي والدارج عن العرب، وما ذهب إليه بعض اللغويين كأبي عبيدة معمر بن المثنى والكسائي والأخفش والفراء وغيرهم، وما قاله المفسرون، وطريقة عرض كل منهما للمفردة القرآنية، واتفاق الطرفين على تفسير القرآن بالقرآن أو بالحديث النبوي الشريف، وتقديم اللغويين المعنى المعجمي، في حين قدم المفسرون المأثور عن ابن عباس وغيره من الصحابة، رضي الله عنهم.

مشكلة البحث:

دراسة بحثية موضوعية وجادة في المحاور الآتية:

- ١- تحليل اللفظ القرآني، والوقوف على البيان اللغوي في كتاب «البسيط» لأبي الحسن الواحدي.
- ٢- التأصيل للبيان اللغوي في تفسير القرآن الكريم، كتاب «جامع البيان في تأويل آي القرآن» للإمام الطبري.
- ٣- المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين: دراسة مقارنة.

الدراسات السابقة:

١- تفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، من آية ٧٥ إلى آخر سورة البقرة، دراسة وتحقيق، محمد بن عبد العزيز الخضير، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية. تناول الباحث فيه سيرة الإمام الواحدي، وعلمه، وشيوخه، وتلاميذه، وعصره، ومنهجه في تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، ومنهجه في ذكر الإسرائيليات، ومنهجه في القراءات وعللها، ومنهجه في علوم القرآن، ومنهجه في مسائل العقيدة، ومنهجه في المسائل الفقهية والأصولية ومنهجه في اللغة وفنونها، ثم عقد مقارنة بين تفاسير الواحدي الثلاثة.

٢- منهج الواحدي في توجيه القراءات القرآنية من خلال كتابه «التفسير البسيط» سورة الفاتحة نموذجاً، عبد الله عثمان أحمد، مجلة الأندلس للعلوم الإسلامية والاجتماعية، المجلد ٧، العدد ٣٣، ص ٢١٨، يوليو - سبتمبر ٢٠٢٠م. يُعد الإمام الواحدي من أجل علماء التفسير والقراءات، نظراً إلى تمكنه من علوم الشريعة، ولغة العرب وبلاغتها. ولمكانة هذا الإمام في علم التفسير خاصة، جاء البحث لئنبه إلى هذا الجانب العظيم من علمه. وكان من أبرز نتائجه: توجيه الإمام الواحدي القراءات المتواترة والشاذة، واستعماله أساليب عدة في ذلك، منها: الاعتماد على المعنى اللغوي للمفردة، والنظر في موقعها في السياق وإعرابها.

٣- دلالات الألفاظ وأثرها في التفسير - دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير أضواء البيان للشنقيطي، عبد الرحمن عبد الله سرور، رسالة جامعية بكلية أصول الدين بجامعة أم القرى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

تناول الباحث في رسالته التعريف بدلالات الألفاظ، وما يتصل بها من الاشتراك والترادف والعام والخاص والمطلق والمقيد والأمر والنهي، ثم بين الألفاظ باعتبار دلالتها على المعنى، وقسمها إلى دلالات واضحة وأخرى مبهمة، كما بين كيفية دلالة اللفظ على المعنى من خلال المنطوق والمفهوم، واستعمالها من حيث الحقيقة والمجاز والصريح والكناية.

٤- توظيف المفردة القرآنية في القرآن الكريم - لفظة «الحياة» نموذجاً، حوراء غازي عناد، مجلة كلية الفقه بجامعة الكوفة، العراق، المجلد ١٧، العدد ٢، ٢٠١٣م.

تناولت فيه الباحثة أسرار الإعجاز في اختيار المفردة، وكيفية توظيفها في السياق القرآني، وما قصد من استعمال مفردة أخرى دون غيرها في موضع معين دون غيره في النص القرآني، وتطبيق ذلك كله من خلال لفظة «الحياة».

٥- المنهجية النقدية في تفسير الطبري وأثرها على المفسرين، سعد سعد مسعود الأحمد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، المجلد ٣٧، إصدار ديسمبر ٢٠١٩م.

تناول الباحث منهج الإمام الطبري في النقد، إذ كانت عادة الطبري ذكر الآية المراد تفسيرها، ثم ذكر أحد الأقوال في تأويلها، ويورد بعدها بإسناده القائلين بهذا القول من الصحابة أو التابعين أو أئمة التفسير، وبعد ذلك يقوم بالترجيح بين الأقوال ويرجح قولاً على قول، وكثير ممن جاء بعده اقتبس من فنياته في تفسيره، التي اعتمد فيها طريقة منهجية مطردة لا يكاد يحيد عنها، فيفسر الآية بعبارة سهلة، وبأسلوب مختصر يوضح فيه المعنى المراد نائياً عن الغموض، ويأتي استطراده لغاية ما، منها نقد الأقوال الضعيفة أو ترجيح قول ما ونصرته، وقد امتاز الطبري في تفسيره بالحس النقدي العالي، وهذا من أبرز ملامح تفسيره. ولم يتوقف نقد الطبري على ظاهر الأقوال التفسيرية فحسب، بل تعدى ذلك ليشمل التفسيرية وعلومها والآراء الاعتقادية ومخرجاتها، والفقهية وذيولها، والأصولية وفروعها، إلى آخر ذلك من العلوم، ولا سيما إذا كان أصحابها أئمة متبعين.

المحور الأول

تحليل اللفظ القرآني والوقوف على البيان اللغوي

في كتاب «البسيط» لأبي الحسن الواحدي

١- التعريف بالإمام الواحدي:

هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي مذهباً، الأشعري عقيدة، لا يعرف زمن مولده، ويرجح أنه نحو ٣٩٧هـ، لأنه سمع من شيخه أبي طاهر محمد بن محمد بن مَحْمُش الزياتي محدث نيسابور وفقهها في عام ٤٠٩هـ، وهو في الثانية عشرة من عمره تقريباً، أو فوق ذلك بقليل. وقد سلك طريق العلم في صغره، إذ دخل كُتَابُ الشيخ أبي عمرو سعيد بن هبة الله البسطامي، ثم شرع في السماع من العلماء، والأخذ عنهم، ثم سمع من شيخه أبي طاهر، ثم انضم إلى دار السُّنة ليتلقى العلم عن علمائها، ومنهم: القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، وتلقى النحو عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد الضرير، الذي توسم أثر الخير لديه فتجرد لتخريجه وتأديبيه، فقرأ عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلق عنه قريباً من مئة جزء في المسائل المشككة، وسمع منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل.^(١) وانقطع لتعلم اللغة على شيخ اللغة في وقته: أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي، فلازمه ملازمة الظل لصاحبه، يدخل عليه عند طلوع الشمس، ويخرج من عنده عند غروبها، يسمع ويعلق ويبحث، ويذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأ عليه كثيراً من دواوين الشعر وكتب اللغة، قال: «ولم أغب عن زيارته يوماً من الأيام إلى أن حال بيننا الحمام»،^(٢) وبعد وفاة أبي الفضل تنقل الواحدي في مساجد البلد ومدارسه، بين العلماء والعلوم ليتلقى القرآن وعلم القراءات، فاختلف أولاً إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي، وقرأ عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى، حتى قرأ عليه أكثر طريقة الأستاذ: أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، ثم ذهب إلى الإمامين أبي عثمان سعيد ابن محمد الحيري، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي، فقرأ عليهما، وأخذ من كل منهما حظاً وافراً، وقرأ على الحيري مصنفات ابن مهران، وسمع منه كتب أبي علي الفسوي رواية، وقرأ عليه

^١ مقدمة التفسير البسيط، الواحدي، ج ١، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

^٢ مقدمة التفسير البسيط، الواحدي، ص ٤١٧ - ٤١٩.

كتاب الزجاج في المعاني.^(٣) يقول: «ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن: الأدب ومعرفة اللغة العربية».^(٤) وكان شيخه أبو الفضل العروضي عاتبه قائلاً: إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز، تقرؤه على هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار؟ يعني: الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، فأجابه: يا أبت إنما أدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب لم أزم في غرض التفسير عن كتب»،^(٥) فعمل بوصية شيخه بالقراءة على الإمام أبي إسحاق أحمد بن حمد بن إبراهيم الثعلبي، وقرأ عليه من مصنفاته أكثر من خمسمئة جزء، وتفسيره الكبير «الكشف والبيان»، وكتابه «الكامل في علم القرآن»، وغيرها، ولشدة ملازمته إياه عرف في الأوساط العلمية آنذاك بتلميذ الثعلبي. ثم رحل في طلب العلم، يتلقى عن كبار المشايخ، يقول: «ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم، من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطنتها، طال الخطب ومل الناظر».^(٦) فكان الواحدي «فقيهاً، إماماً في النحو، واللغة، وغيرهما، شاعراً، وأستاذ عصره في التفسير»^(٧)، فهو «الإمام، العلامة، الأستاذ... صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل... كان طويل الباع في العربية... تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه»^(٨). «وقد أثنى عليه وأشاد بمؤلفاته كثير من العلماء»^(٩) «توفي - رحمه الله - سنة ٤٦٨ هـ بنيسابور».^(١٠)

٢- مؤلفاته:

في علوم القرآن: التفسير البسيط، والتفسير الوسيط، والتفسير الوجيز، ومسند التفسير، وفصائل القرآن، ونفي التحريف عن القرآن الشريف، وأسباب النزول، والتحبير في شرح أسماء الله الحسنى، وقتلى القرآن. وفي السنة الشريفة: تفسير (أسماء) النبي ﷺ، والمغازي، والدعوات. وفي النحو: الإغراب في الإعراب. وفي الأدب: شرح ديوان المتنبي. كما ينسب إليه عدد من الكتب: معاني التفسير، ومختصر التفسير، والحاوي لجميع المعاني، وجامع البيان في تفسير القرآن، ورسالة في البسملة، وحاشية على شرح البسملة، ورسالة في شرف علم التفسير، والناسخ والمنسوخ، وإيضاح الناسخ والمنسوخ في القرآن، والبيان لأسباب نزول القرآن، وشرح معلقة النابغة الذبياني، وبانت سعاد، والوسيط في الأمثال، والبسيط في الأمثال، والوجيز في الأمثال، ومنظومة في الوعظ، والمترجم المنيح في شرح كتاب الفصيح، ونزهة الأنفس، أوزينة الأنفس، والحاوي في شرح المقصورة الدريدية.^(١١)

٣- أثر عقيدته الأشعرية في تفسيره:

لا بد أن يتأثر علم الفقيه أو المفسر بعقيدته، لأنه يصدر فيهما عنها، إلى جانب علمه، ومن أمثلة أثر العقيدة الأشعرية في الإمام الواحدي:

^٣ المصدر السابق، ص (٤٣٢).

^٤ المصدر نفسه، ص ٤١٠.

^٥ المصدر نفسه، ص ٤١٩.

^٦ المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٥.

^٧ طبقات الشافعية، الأسنوي، ج ٢، ص ٥٣٩.

^٨ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٨ / ٣٣٩ - ٣٤١.

^٩ طبقات المفسرين، الداودي ١ / ٣٩٤.

^{١٠} وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج ٣، ص ٣٠٤.

^{١١} التفسير البسيط للواحدى، محمد بن صالح الفوزان، ج ١، الدراسة، ص ٧٦ - ٩٢.

عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

وَالِلَّهِ اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(١٢). ذكر الواحدي في تفسيرها وجهين: أحدهما: أن هذا من باب حذف

المضاف، أن يأتيهم عذاب الله، أو أمر الله، أو آيات الله، فجعل مجيء الآيات والعذاب مجيئاً له، تفخيماً

لشأن العذاب، وتعظيماً له. والثاني: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب،

فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم.^(١٣) وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(١٤) قال: فمعنى العلو في

صفة الله تعالى: اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح^(١٥). وهذا مذهب الأشاعرة في تأويل صفات

الله عز وجل، عدا سبغاً، هي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر. ولهم

خلاف في البقاء والتكوين، والقدم، وبعضهم يذكر أيضاً: الإدراك. وإن أريد بالصفة كل ما يحكم به

على الذات، ولو لم يكن معنى يقوم بها، فإن الصفات التي يثبتها الأشاعرة ثلاث عشرة، أو عشرون

صفة.^(١٦)

٤- مآخذ العلماء عليه:

أخذ على الإمام الواحدي بعض أهل العلم مأخذين:

الأول: أشعريته: أخذها عليه ابن تيمية الذي خالف الأشاعرة في تأويل الصفات المشتبهة، وخالف الحنابلة في التفويض وإمرارها كما جاءت، وإنما أخذها على ظاهرها كاليد والعين والوجه والساق، لكنه فوض الكيفية. وعد تأويل الأشاعرة بدعة.

الثاني: أخذه عليه ابن الجوزي، وهو ضعف بضاعته في علم الحديث، وتبعه في ذلك ابن تيمية والكتاني وابن الصلاح. فالواحدي كان راوياً كثيراً السماع، «وأدرك الإسناد العالي من الأستاذ والإمام طاهر الزيايدي وأقرانه، وأكثر عن أصحاب الأصم، ثم عن مشايخ الطبقة الثانية^(١٧)، بيد أنه كان ضعيف العناية في علم الحديث، ينقل الضعيف والموضوع منها في كتبه دون بيان أو تنبيه؛ ولذا قال ابن الجوزي: «وقد فرق هذا الحديث (يعني الحديث الموضوع في فضائل سور القرآن سورة سورة) أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما، لأنهما ليسا من أهل الحديث.^(١٨)»

وادعى بعضهم مأخذاً ثالثاً هو غمزه الأئمة المتقدمين، ذكره تلميذه عبد الغافر الفارسي، وأبو سعد السمعاني، وذلك أن الواحدي قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي كتاب «حقائق التفسير» ولو قال: إن ذلك تفسير للقرآن لكفر به. قال الذهبي: صدق والله... وهو معذور مأجور،^(١٩) وذلك أن السلمي أراد تصنيف تفسير إشاري، لكنه جمع فيه أقوال أئمة الصوفية إلى أقوال عامة المتصوفة وجهلتهم، قال ابن

^{١٢} سورة البقرة: ٢١٠.

^{١٣} التفسير البسيط، الواحدي، ج ٤، ص ١٠٠ - ١٠١.

^{١٤} سورة البقرة: ٢٥٥.

^{١٥} التفسير البسيط، الواحدي، ج ٤، ص ٣٧١.

^{١٦} شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، ص ١٤١.

^{١٧} المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، عبد الغافر الفارسي، ص ٨٧.

^{١٨} الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، ابن الجوزي، ج ١، ص ٢٣٩.

^{١٩} سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٨، ص ٣٤٢.

الجوزي: «وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي في تفسير القرآن من كلامهم، الذي أكثره هذيان لا يحل، نحو مجلدين سماها: حقائق التفسير». (٢٠)

٦- التفسير البسيط:

من أشهر كتب التفسير بالمأثور، وهو من كتب التفسير الواسعة، قال الواحدي عن نفسه: «وأظنني لم أَلْ جهداً في إحكام أصول هذا العلم، على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو عمري، على قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالى، وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه، وأخذته من معادنه». (٢١) وفي مجيء تفسيره متأخراً عن تفاسير من سبقوه قال: «إن المتأخر بلطيف حيلته، ودقيق فطنته، يلتقط الدرر، ويجمع الغرر، فينظمها كالعقد على صدر الكعاب، يروق المتأملين، ويؤنق الناظرين، فيستحق به في الأولى حمد الحامدين، وفي العقبي ثواب رب العالمين». (٢٢) وقال: «كنت تحدثني نفسي في أن أعلق في تفسير القرآن فقرأ في الكشف عن غوامض معانيه، ونكتاً في الإشارة إلى علل القراءات فيه، في ورقات يصغر حجمها، ويكثر غُثمها، والأيام تَمُطله بصروفها، على اختلاف صنوفها، إلى أن شدد عليه خناق التقاضي قوم لهم في العلم سابقة، وفي التحقيق هم صادقة، فسمحت قُرُونُهُ بعد الإباء، وذلت صعوبته بعد النفرة والالتواء... وقد استخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره، حتى أبرزه كالقمر انجاب سحابه، والزلال صفا متنه واطرد حُبابه، يؤدي إلى المتأمل نُصرة الكلم العذاب، ورونق الذهب المذاب، سألُك نهج الإعجاز في الإيجاز، مشتمل على ما نقيت على غيري إهماله، ونعيت عليه إغفاله، خال عما يكسب المستفيد مَلالة، ويتصور عند المتصفح إطالة، لا يدع لمن تأمله حازة في صدره، حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين إلى نور العلم وتلج اليقين». (٢٣)

٧- أهمية الكتاب:

«فالواحدي قد بلغ مرتبة الإمامة في كثير من العلوم الشرعية. أما كتابه «البسيط» فإن له قيمة علمية كبيرة في مجال التفسير التحليلي للآيات؛ بذكر معاني المفردات وما يتعلق بها من حيث اللغة والنحو، والعناية بالقراءات وبيان أوجهها وعللها، وسياق الأقوال والأوجه في التفسير، مع الموازنة بينها أو الترجيح في كثير من الأحيان، وذكر أسباب النزول، واستنباط ما تدل عليه الآيات من أحكام، كما أن الواحدي يتصف بدقة البحث للمسائل وتحريرها وحسن ترجيحها، ما جعل كثيراً من المفسرين يتبنى آراءه ويستشهد بها في مواطن الخلاف. فهذا الكتاب يعد من التفاسير الجامعة، وقد امتاز بمراجعته الأصيلة في التفسير والعربية، كما يعد مصدراً مهماً لنصوص كثيرة من كتب مفقودة كالمصادر للفراء، ونظم القرآن للجرجاني، وبعض كتب ابن الأنباري، وغيرها، وكان الواحدي حسن الانتقاء للنقول، وإجادة الربط بين الكلام ولو كان من مصادر متعددة. ومن أهمية هذا التفسير أن الواحدي تصدى فيه للرد على الفرق الضالة، وخصوصاً القدريّة، كلما سنحت له فرصة، إضافة إلى غزارة مادة «البسيط» العلمية وتنوعها، ففيه مادة لغوية ونحوية، وفيه كثير من الأقوال والآثار التي لم يعثر عليها في كتب التفسير الأخرى، فهو من كتب التفسير الكبيرة الجامعة لمختلف العلوم». (٢٤)

٢٠ تلييس إبليس، ابن الجوزي، ج ١، ص ٤٠٣.

٢١ مقدمة التفسير البسيط، الواحدي، ج ١، ص ٤١٧.

٢٢ المصدر السابق، ص ٤١٧.

٢٣ المصدر نفسه، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

٢٤ التفسير البسيط للواحدي، محمد بن صالح الفوزان، ج ١، الدراسة، ص ١٤ - ١٥.

٨- تحليل اللفظ القرآني عند الواحدي:

تتعدد دلالات الألفاظ بحسب المستوى اللغوي الذي يُنظر إليها من خلاله؛ فقد يُنظر إليها من خلال المستوى الصوتي، أو المعجمي، أو الصرفي، أو النحوي، أو البياني. فلا بدّ لمحلل للنص القرآني من اعتماد أصول عامّة منوّعة، تعينه على فهم النص فهماً دقيقاً شاملاً، يتناول أطّره المختلفة وصوره المتعددة، بما فيها من معانٍ وجمال وأساليب، وذلك من خلال أمور عدة تتعلق بعلوم اللغة، وذلك بعد معرفة علوم القرآن، كالقراءات، وأسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والعام الذي أريد به الخاص، والخاص الذي أريد به العام، وغير ذلك. وهذه العلوم اللغوية نجدها في منهج الإمام الواحدي منتشرة في تفسيره، ونضرب لها أمثلة:

١- الجانب المعجمي: قال في تفسير «عزين» في قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾: (٢٥) وذلك أنهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين. ومعنى «عِزِينَ» جماعات في تفرقة، واحدها عِزّة، وهي: العصابة من الناس، وهو من المنقوص الذي جاز جمعه بالواو والنون عوضاً من المحذوف، وأصلها عزوة، وقال الأزهري: وأصلها من قولهم: عزا فلان نفسه إلى بني فلان، يعزوها عزواً: إذا انتمى إليهم، والاسم: العزوة، وكأنّ العزوة كل جماعة اعتزاؤها واحد. (٢٦)

٢- الجانب النحوي: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (٢٧): «صِرَاطٌ» بدل من «الصِّرَاطِ»، الأول، وهو بدل الشيء من نفسه في المعنى؛ لأن «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» هو «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» بعينه، وهو كقولك: جاءني أبوك زيد، فزيد هو الأب بعينه، وهو من بدل «المعرفة من المعرفة». وقوله: «الَّذِينَ» النحويون يسمون «الذي والتي» وتثنيتهما، وجمعهما: الأسماء الموصولة، والأسماء النواقص، والأسماء المبهمة، وذلك لأنها أسماء لا تتم إلا بصلاتها، إما من مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل، أو ظرف، أو شرط وجزاء كقولك: جاءني الذي أبوه منطلق، والذي قام أبوه، والذي عندك، والذي إن تأت يأتك. ولا بد أن يكون في صلة «الذي» ضمير يرجع إليه، وإلا فسد الكلام. و«الذين» لا يظهر فيه الإعراب، تقول: في الرفع والنصب والجر: «الذين» وكذلك «الذي» وإنما منع الإعراب؛ لأن الإعراب إنما يكون في أواخر الأسماء، و«الذين» من المبهمات لا تتم إلا بصلاتها، فلذلك منعت الإعراب. فإن قيل: فلم أعربته في التثنية؟ قيل: إن جميع ما لا يعرب في الواحد مشبه بالحرف الذي جاء لمعنى، فإذا تثنيته بطل شبه الحرف؛ لأن حروف المعاني لا تثني. فإن قيل: فلم منعت الإعراب في الجمع؟ قيل: الجمع الذي ليس على حد التثنية كالواحد، ألا ترى أنك تقول في جمع «هذا»: هؤلاء، فتجعله اسماً واحداً للجمع. فكذاك قوله: {الَّذِينَ} إنما هو اسم لجمع، فبنيت كما بنيت الواحد، ونظير «الذي» «هذا»، فإنك لا تعربه، ثم تعرب «هذين»، ثم تترك الإعراب في «هؤلاء». ومعنى قوله: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» صراط القوم الذين أنعمت عليهم، ولو أريد وصف القوم بـ«أنعمت عليهم» لم يسهل، لأنه يصلح وصفاً للذكر، فيصح في الكلام أن يقول: «صراط قوم أنعمت عليهم»، فلا يصلح أن يكون وصفاً للمعرفة، فلما أريد ذلك توصلوا إلى ذلك بـ«الذي». جاؤوا بالحرف الذي وضع للتعريف، فأولوه «الذي» ليحصل لهم بذلك لفظ التعريف الذي قصدوه، ويطابق اللفظ المعنى الذي حاولوه. (٢٨)

٢٥ سورة المعارج: ٣٧.

٢٦ التفسير البسيط، الواحدي، ج ٢، ص ٣٤.

٢٧ سورة الفاتحة: ٧.

٢٨ التفسير البسيط، الواحدي، ج ١، ص ٥٣٠ - ٥٣٥.

٣- الجانب الصرفي: قال في «قياماً» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: قال أبو عبيدة: (قيام) مصدر، ويجيء في معناه (قوام)، وهو الذي يقيمك، وانما أذهبوا الواو لكسرة القاف؛ كما قالوا: صِوار وصِيار، وإنما أعل القيام؛ لأنه مصدر قد اعتل فعله، فاتّبع الفعل في الإعلال، ومثله من المصادر الصِّيَام والعياذ والحيَاكة، ونحو ذلك في ما قلبت الواو فيه ياء؛ لأنها مصادر جارية على الفعل في الإعلال. قال أبو علي: وأما القوام الذي حكاه أبو عبيدة فإنه ينبغي أن يكون اسماً غير مصدر، كالقوام في من فتح، ويجوز أن يكون مصدر قاوم، كما أن «الغوار مصدر غاور». (٢٩)

٤- لهجات العرب: قال في تفسير «تَخَوُّف» في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾: (٣٠) روي عن سعيد بن المسيب أنه قال: بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر، فقال: يا أيها الناس: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾؟ فسكت الناس، فقام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين: هذه لغتنا - بني هذيل - التخوف: التنقص، قال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقه:

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكاً صُلْباً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّقْنُ (٣١)

٥- الجانب البلاغي قال في تفسير «الموتى، والصم، والعمي» في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾: (٣٢) ومعنى الآية: أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه من التوحيد والدين، كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وإعلامه شيئاً، وكالصم الذين لا يسمعون. ثم ضرب العمي أيضاً مثلاً لهم فقال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ (٣٣) فالعمي: هم، و﴿ضَلَالَتِهِمْ﴾ كفرهم وجهالتهم. فالمعنى: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى، وأعمى قلبه عن الإيمان. (٣٤)

٦- جانب المعاني: قال في تفسير «فرش» في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾: (٣٥) وقال أهل المعاني: المراد بالفرش هاهنا: النساء، والعرب تكني عن المرأة بالفراش والإزار واللباس. (٣٦)

٧- الجانب الدلالي قال في تفسير «الرفث» في قوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (٣٧) قال: يقال: رَفَثَ في كلامه يَرَفُثُ، وأرفث: إذا تكلم بالقبيح، هذا هو الأصل، ثم يكنى به عن الجماع، قال الزجاجي: قد تأملنا الألفاظ الواردة عن العرب، المستعملة في معنى الجماع، فما وجدنا فيها لفظةً وُضِعَتْ حقيقة في معنى الجماع حتى لا تستعمل في غيره، لكن الكلمة إذا كثر استعمالها في معنى ويكون موضوعها لمعنى آخر فإنها تصير حقيقة فيما استعملت فيه كثيراً، حتى إذا أطلق لم يعرف

٢٩ المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

٣٠ سورة النحل: ٤٧.

٣١ التفسير البسيط، الواحدي، ج ١، ص ٤٠١.

٣٢ سورة النمل: ٨٠.

٣٣ سورة النمل: ٨١.

٣٤ التفسير البسيط، الواحدي، ج ١٧، ص ٢٩٦ - ٢٩٩.

٣٥ سورة الواقعة: ٣٤.

٣٦ التفسير البسيط، ج ٢١، ص ٢٣٤.

٣٧ سورة البقرة: ١٨٧.

غير ذلك، كما تقول في المباشعة، فإن أصلها من البَضْع، وهو قَطْع اللحم، فإذا أطلق لم يعرف منه غير معنى الجماع، كما أن نفس قولنا: فَرَج كناية، فإذا أطلقوا الفرج لم يعرف منه غير هذا المعنى المقصود إليه. وقالوا: بَاضَعَهَا كأنه باشر بُضْعَهَا، ولم يقولوا: فارجهَا، وصارت المباشعة كالحقيقة في معنى الجماع؛ لأنهم لا يستعملونها في غيره، ألا ترى أنهم يقولون: غَشِيَهَا وَتَغَشَّاهَا، وَوَطَّنَهَا وَتَوَطَّاهَا، وقربها، وَبَطَّنَهَا وَتَبَطَّنَهَا، وكل هذه الألفاظ موضوعةٌ لغير هذا المعنى. وقال أبو عبيدة: «الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ»: الإِفْضَاءُ إِلَى نِسَائِكُمْ، قال الأخفش: وإنما عدَّاه بـ«إلى» لأنه كان بمعنى الإِفْضَاءِ.^(٣٨)

٨- الجانب البياني (تحليل اللفظة في مقامها ضمن السياق): قال في تفسير «كُتِبَ» في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ»^(٣٩) قال: كُتِبَ هاهنا، بمعنى: فُرض وأُوجب، كقوله: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ»^(٤٠) وأصله: أن من أراد إحكام شيء والاستيثاق منه كُتِبَ؛ لئلا ينساه، ف قيل في كل مفروض واجب: كتب، بمعنى: أحكم ذلك. وقيل: أصله: ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، ومن هذا قوله: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي»^(٤١)، أي: قضى الله ذلك، وَفَرَعَ مِنْهُ، وَحَكَمَ بِهِ، ومثله قوله: «وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ»^(٤٢) أي: حكم بإخراجهم من دورهم، وقوله: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا»^(٤٣)، وقوله: «لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ»^(٤٤) كل هذا من القضاء. ويكون (كتب) بمعنى: جعل، كقوله: «أُولَئِكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ»^(٤٥)، وقوله: «فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ»^(٤٦) وقوله: «فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ»^(٤٧) فاستشهد بعدد من الآيات التي وردت فيها لفظة «كتب» بمعان مختلفة.

ملاحظة:

لم أجد للإمام الواحدي شيئاً في الجانب الدلالي للأساليب النحوية، من تقديم وتأخير، كقوله تعالى «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»^(٤٨) ففسر الآية دون أن يقف على تقديم المفعول على الفاعل، وحذف المفعول من الفعل «قَلَى» في سورة الضحى، وإنما قال إنه حُذِفَ لدلالة الفعل «مَا وَدَّعَاكَ» عليه! وكذلك لم يقف عند الفرق الدلالي بين الفعلين «لم تستطع» و«لم تسطع» والفعلين «اسطاعوا» و«استطاعوا» في سورة

^{٣٨} التفسير البسيط، الواحدي، ج ٣، ص ٥٩٦ - ٥٩٨.

^{٣٩} سورة البقرة: ١٧٨.

^{٤٠} سورة البقرة: ١٨٠.

^{٤١} سورة المجادلة: ٢١.

^{٤٢} سورة الحشر: ٣.

^{٤٣} سورة التوبة: ٥١.

^{٤٤} سورة آل عمران: ١٥٤.

^{٤٥} سورة المجادلة: ٢٢.

^{٤٦} سورة المائدة: ٨٣.

^{٤٧} سورة الأعراف: ١٥٦.

^{٤٨} سورة البقرة: ١٢٤.

الكهف، وإنما تكلم عليهما صرفياً، مع أن فيهما وجهاً دلاليّاً جميلاً، وكذلك عند قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم، عليه وعلى سيدنا محمد الصلاة والسلام، في سورة المائدة: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، مع أن الآية تستحق الوقوف عندها فيها لمحة دلالية، لكنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤٩) ذكر قصة الأعرابي مع الأصمعي: «قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة وبجني أعرابي، فقرأت هذه الآية، فقلت: (نكالا من الله والله غفور رحيم) سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد. فأعدت: والله غفور رحيم. فقال: ليس هذا كلام الله! فتنبهت وقرأت: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أنني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع. وهي لفظة بيانية من الأعرابي إلى مناسبة اللفظ لسياق الكلام، ولعل الإمام الواحدي ذكرها لشهرتها، وإنما كان اهتمامه منصباً على المعنى اللغوي والإعراب والاشتقاق وأسباب النزول، بل والأحكام أيضاً؛ فقد ذكر عند تفسير هذه الآية أحكام قطع يد السارق في أقوال ابن عباس والأوزاعي وفي مذهبي الشافعي وأبي حنيفة، وفصل فيها. ولم أعر على وقفة له دلالية عند رؤوس الآيات غير هذه، وإنما كان يتناولها لغوياً.

كما أنه لم يتناول في تفسيره لفظ «أمين» الذي يقال بعد قراءة الفاتحة، والذي اختلف المفسرون في معناه؛ فقل ابن قتيبة اسم من أسماء الله، وقال غيره: «اسم فعل دعاء بمعنى استجب». ولعل الواحدي لم يذكره لأنه ليس من القرآن الكريم.

المحور الثاني

التأصيل للبيان اللغوي في تفسير القرآن الكريم كتاب «جامع البيان في تأويل آي القرآن» للإمام الطبري

التعريف بالإمام ابن جرير الطبري:

هو العالم المجتهد، المُحدِّثُ، الفقيه، المقرئ، المؤرخ، عَلَّامة وقته، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري ثم الأُملي. وقيل: يزيد بن خالد الطبري. من أهل آمل طبرستان، وإليها نسبته. سأل يوماً سائلاً ابنَ جرير عن نسبه، فقال: محمد بن جرير. فقال السائل: زدنا في النسب. فأنشده لرؤبة: قد رفع العجاجُ ذكراً فادعُني باسمي إذا الأنسابُ طالت يكفني

وُلِدَ في آخر سنة أربع وعشرين ومئتين، أو أول سنة خمس وعشرين ومئتين، وقد حرص والده على معونته على طلب العلم وهو صبي صغير، فحفظ القرآن وله سبع سنين، وصلى بالناس وهو ابن ثمانين سنين، وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين، وراه أبوه في النوم أنه بين يدي رسول الله ﷺ ومعه مخلّة

مملوءة حجارة وهو يرمي بين يديه. فقال له الْمُعْتَرِّ: إن ابنك إن كبر نصح في دينه ﷺ، وذنب عن شريعته. فحرص أبوه على معونته على طلب العلم وهو حينئذ صبي صغير.^(٥٠)

شيوخه:

قال الطبري: كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات ويسألنا عما كتبناه ويقرؤه علينا. قال: وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي، وكان في قرية من قرى الرِّيِّ بينها وبين الري قُطعة، ثم نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه.^(٥١) «وسمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وأحمد بن منيع البغوي وأحمد بن حميد الرازي وأبا همام الوليد بن شجاع وأبا كريب محمد بن العلاء، وعدد خلقاً كثيراً من أهل العراق والشام ومصر. وحدث عنه أحمد بن كامل القاضي وغيره، واستوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته.... وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عز وجل، عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه «تهذيب الآثار» لم أر سواه في معناه، ولم يتممه. وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه. قال الخطيب: سمعت علي بن عبيد الله اللغوي السمسمي يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، وحدث عن القاضي أبي عمر عبيد الله بن أحمد السمسار وأبي القاسم بن عقيل الوراق أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: أنتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قال: تنتشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو مما اختصر التفسير». ^(٥٢) وحدث أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ في «كتاب الاقناع» في إحدى عشرة قراءة، قال: كان أبو جعفر الطبري عالماً بالفقه والحديث والنفاسير والنحو واللغة والعروض، له في جميع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنفين، وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثماني عشرة مجلدة ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ، وعلل ذلك وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور ولم يكن منتصباً للإقراء ولا قرأ عليه أحد إلا آحاد من الناس، كالصفا شيخ كان ببغداد من الجانب الشرقي يروي عنه رواية عبد الحميد بن بكار عن ابن عامر. وأما القراءة عليه باختياره فإني ما رأيت أحداً قرأ به غير أبي الحسين الجبِّي وكان ضئيلاً به، ولقد سألته زماناً حتى أخذ عليّ به وقال: ترددت إلى أبي جعفر نحواً من سنة أسأله ذلك زماناً حتى أجمت عليه وسألته، وكنت قد سمعت منه صدراً من كتبه فأخذه عليّ على جهته وقال: لا تنسبها إليّ وأنا حي، فما أقرأت بها أحداً حتى مات رحمه الله في شوال سنة عشر وثلاثمائة. وقال أبو الحسين الجبِّي: ما قرأ عليه به إلا اثنان وأنت ثالثهم، ولا قرأ عليه أحد إلى أن مات سنة ثمانين وثلاثمائة.^(٥٣) و«قال غير الخطيب: ودفن ليلاً خوفاً من

^{٥٠} جامع البيان للطبري، المقدمة، ج ١، ص ١١.

^{٥١} المصدر السابق، ج ١، ص ١٢.

^{٥٢} معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٦، ص ٢٤٤٢ وما بعدها.

^{٥٣} المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٤٤٥.

العامة لأنه يتهم بالنشيع، وأما الخطيب فإنه قال: ولم يؤذن به أحد، فاجتمع على جنازته من لا يحصي عددهم إلا الله، وصلي على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب». (٥٤)

رحلاته في طلب العلم:

رحل ابن جرير من مدينة أُمْل لما ترعرع، وسَمَحَ له أبوه بالسفر، وكان عمره عشرين سنة، بغداد مدينة السلام، وكان في نفسه أن يسمع من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فلم يتفق ذلك لموته قبيل دخوله إليها، وكان أبو عبد الله قطع الحديث قبل ذلك بسنين، فأقام ابن جرير بمدينة السلام وكتب عن شيوخها فأكثر، ثم انحدر إلى البصرة فسمع ممن كان بقي من شيوخها في وقته، كمحمد بن موسى الحرشي، وعماد بن موسى القزاز، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني، وبشر بن معاذ، وأبي الأشعث، ومحمد بن بشار، بُندار، وغيرهم، فأكثر، وكتب في طريقه عن شيوخه الواسطيين، ثم صار إلى الكوفة فكتب فيها عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني، وهناد بن السري، وإسماعيل بن موسى وغيرهم. ثم عاد إلى مدينة السلام، فكتب بها وتفقه ولزم المقام بها، وأخذ في علوم القرآن، ثم غَرَّبَ فخرج إلى مصر، وأخذ في طريقه من المشايخ بأجناد الشام والسواحل والثغور وأكثر منها، ثم صار إلى الفسطاط (التي بناها عمرو بن العاص) في سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم فأكثر عنهم الكتابة من علوم مالك والشافعي وابن وهب وغيرهم، ثم عاد إلى الشام، ثم رجع إلى مصر، وقال: لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحني في العلم الذي يتحقق به. ثم رجع إلى مدينة السلام وكتب أيضاً، ثم رجع إلى طبرستان وهي العودة الأولى له إليها، وكانت الثانية في سنة تسعين ومئتين، ثم رجع إلى بغداد فنزل في قنطرة البردان (محلة ببغداد)، واشتهر اسمه في العلم وشاع خبره بالفهم والتقدم واستقر بها إلى أن مات. وقد حصل الطبري بهذا التطواف علماً لم يحصل لأحد في عصره، فصار به عالم عصره وفقه زمانه، فأخذ فقه الشافعي عن الربيع بن سليمان بمصر، وعن الحسن بن محمد الزعفراني ببغداد، وأخذ فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى وبني عبد الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد، وابن أخي وهب، وأخذ فقه العراق عن أبي مقاتل بالري، وأدرك الأسانيد العالية بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والري، فصار متفناً في جميع العلوم؛ علم القرآن، والحديث، والفقه، والنحو، والشعر، واللغة، حاذقاً في جميعها. (٥٥)

مؤلفاته:

تفسيره الكبير المسمى «جامع البيان في تفسير القرآن»، تاريخ الرسل والملوك، كتاب تهذيب الآثار، وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار، كتاب اختلاف الفقهاء ويسمى «اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام»، كتاب اختيار من أقاويل الفقهاء، كتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة، وله عنوان آخر هو «أدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة»، ويسمى أيضاً «الأداب»، كتاب آداب القضاة، كتاب آداب المناسك، ويسمى بعضهم «المناسك»، كتاب بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، كتاب التبصير في معالم الدين، كتاب ذيل المذيل، وهو الذي سمّاه الذهبي «تاريخ الرجال»، كتاب الرد على ذي الأسفار، كتاب الرد على ابن عبد الحكم على مالك، كتاب الرد على الحرقوصية، ولعله المسمى «كتاب أهل البغي»، كتاب الرمي والنشاب، رسالته الموسومة بـ«صريح السنة»، رسالة في جزء «حديث الهميان»، كتاب العدد والتنزيل، كتاب فضائل أبي بكر وعمر، كتاب فضائل العباس بن عبدالمطلب، كتاب فضائل علي بن أبي طالب، وهو الذي يُسمّى كتاب «أحاديث غدير خم»، كتاب

^{٥٤} معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٦، ص ٢٤٤٢.

^{٥٥} تفسير الطبري، المقدمة، ج ١، ص ١٣ - ١٤.

في عبارة الرؤيا، كتاب القراءات وتنزيل القرآن، وربما سُمِّيَ «الجامع في القراءات»، كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو الذي يُختصر ويُسمَّى «اللطيف»، كتاب مختصر الفرائض، كتاب المسترشد، كتاب المسند المجرد، ويصفه الذهبي بأنه «المسند المخرج»، كتاب الموجز في الأصول، كتاب الوقف، كتاب طرق الحديث، كتاب الطير، دلائل النبوة (ولم يتمه)، أسماء من روى عن النبي ﷺ من القبائل، كتاب الغرائب، كتاب الشروط أو «أمثلة العدول». كتاب الأيمان، كتاب الجراح. كما أن هناك كتباً استُلِّت من كتبه، منها: تفسير سورة الفاتحة، استشهاد الحسين، الآثار الباقية عن القرون الخالية. ونسب إليه بروكلمان كتابين: تاريخ صنعاء، بشارة المصطفى، وهو وَهْمٌ منه فالأول لأبي العباس أحمد بن عبد الله الصنعاني من الطبريين الذين وفدوا على اليمن وأقاموا بها، والثاني لأبي جعفر محمد بن علي الطبري الأملي الرافضي.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن:

يعد تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعد المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي؛ نظراً لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق، ويقع في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير، وقد أجمع الباحثون في الشرق والغرب الحكم على عظيم قيمته، واتفقوا على أنه مرجع لا غنى عنه لطالب التفسير، فقد قال السيوطي - رضي الله عنه: وكتابه (يعني تفسير الطبري) أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين.^(٥٦) وقال النووي: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله.^(٥٧) وقال أبو حامد الإسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً.^(٥٨) «ونستطيع أن نقول إن تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأولوية بين كتب التفسير، أولية زمنية، وأولية من ناحية الفن والصناعة، فأما أوليته الزمنية، فلأنه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا، وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن، ولم يصل إلينا شيء منها، وأما أوليته من ناحية الفن والصناعة؛ فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها فيه مؤلفه، حتى أخرج للناس كتاباً له قيمته ومكانته».^(٥٩) «وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة ورسالة في التفسير تدل على ما خص الله به القرآن العزيز من البلاغة والإعجاز والفصاحة التي نافى بها سائر الكلام، ثم ذكر من مقدمات الكلام في التفسير، وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله، وما ورد في جواز تفسيره، وما حظر من ذلك، والكلام في قول النبي ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف، وبأي الألسنة نزل، والرد على من قال إن فيه أشياء من غير الكلام العربي، وتفسير أسماء القرآن والسور، وغير ذلك مما قدمه، ثم تلاه بتأويل القرآن حرفاً حرفاً، فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعي التابعين وكلام أهل الإعراب من الكوفيين والبصريين، وجمالاً من القراءات، واختلاف القراءة في ما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية، والكلام في ناسخه ومنسوخه، وأحكام القرآن والخلاف فيه والرد على المخالفين من كلام أهل النظر في ما تكلم فيه بعض أهل البدع، والرد عليهم على مذاهب أهل الإثبات ومبتغي السنن، إلى آخر القرآن، ثم أتبعه بتفسير «أبجد» وحروفها، وخلاف الناس فيها، وما اختاره من تأويلها بما لا يقدر أحد أن يزيد فيه،

^{٥٦} الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ٤، ص ٢٤٢.

^{٥٧} المصدر السابق، ص ٢٤٤.

^{٥٨} معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ١٨، ص ٤٢.

^{٥٩} التفسير البسيط للواحد، الفوزان، مقدمة المحقق، ج ١، ص ١٦٧.

بل لا يراه مجموعاً لأحد غيره، وذكر فيه من كتب التفسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جبير طريقين، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق، وربما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك، وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق، وعن الضحاك بن مزاحم طريقين، وعن عبد الله بن مسعود طريقاً، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وتفسير ابن جريج وتفسير مقاتل بن حيان، سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم، وفيه من المسند بحسب حاجته إليه، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به فانه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدي لأنهم عنده أظناء والله أعلم.^(٦٠)

طريقة ابن جرير في تفسيره:

كان ابن جرير «إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول: «القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا»، ثم يفسر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية، وإذا كان في الآية قولان أو أكثر، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين، ولا يقتصر على مجرد الرواية، بل يتعرض لتوجيه الأقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما يتعرض لناحية الإعراب إذا دعت الحال إلى ذلك، ويستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار، وينكر على من يفسر بمجرد الرأي، ويخاصم بقوة أصحاب الرأي المستقلين في التفكير، ولا يزال يشدد في ضرورة الرجوع إلى العلم الراجع إلى الصحابة أو التابعين، والمنقول عنهم نقلاً صحيحاً مستفيضاً، ويرى أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح، فمثلاً عند ما تكلم على قوله تعالى: «ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ»^(٦١) ذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف، مع توجيهه الأقوال وتعرضه للقراءات بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآية، ثم عرج بعد ذلك على من يفسر القرآن برأيه من دون اعتماد منه على شيء إلا على مجرد اللغة، ففند قوله، وأبطل رأيه، وقال: «وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله «وَفِيهِ يَعَصِرُونَ» إلى: وفيه ينجون من الجذب والقحط بالغيث، ويزعم أنه من العصر، والعصر التي بمعنى المنجاة، من قول أبي زبيد الطائي:

صادياً يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أي: المقهور، ومن قول لبيد:

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافاً بغير معصر

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين»،^(٦٢) وكثيراً ما يقف ابن جرير مثل هذا الموقف حيال ما يروي عن مجاهد أو الضحاك أو غيرهما ممن يروون عن ابن عباس، فمثلاً عند قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

^{٦٠} معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٦، ص ٢٤٤ - ٢٤٥٥.

^{٦١} سورة يوسف: ٤٩.

^{٦٢} تفسير ابن جرير الطبري، ج ٢٢، ص ١٣٨.

خَاسِيَيْنَ»^(٦٣) قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَيْنَ» قال: «مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم، كمثل الحمار يحمل أسفاراً»، ثم عقب بعد ذلك على قول مجاهد فقال: «وهذا القول، الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت»^(٦٤) وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦٥) روى عن الضحاك في معنى هذه الآية: أن من طلق لغير العدة فقد اعتدى وظلم نفسه، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون، ثم قال: وهذا الذي ذكر عن الضحاك لا معنى له في هذا الموضع؛ لأنه لم يجر للطلاق في العدة ذكر فيقال تلك حدود الله، وإنما جرى ذكر العدد الذي يكون للمطلق فيه الرجعة والذي لا يكون له فيه الرجعة، دون ذكر البيان عن الطلاق للعدة.^(٦٦)

وكان منهجه أن يبدأ بالتفسير بالمأثور، ثم التفسير باللغة، ثم مراعاة بالنحو، والإكثار من الشواهد الشعرية والترجيح بين القراءات، والاجتهاد في المسائل الفقهية، ثم الإدلاء برأيه في الترجيح، مع اجتناب التأويل بالرأي، ويغلب في منهجه وترجيحاته الانتصار للمذهب السلفي، والإكثار من الإسرائيليات.

التأصيل للبيان اللغوي في تفسير الطبري:

البيان لغة: الوضوح، وهو مصدر الفعل «بان بمعنى اتضح» وتدور معانيه حول: الإبانة، والفصاحة، والإيضاح، والكشف عن المشكل.^(٦٧) واصطلاحاً: «النطق الفصيح المعرب، أي المظهر عمّا في الضمير»، و«إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستوراً قبله».^(٦٨) وقال السيوطي: هو «إخراج الشيء عن حيرة الإشكال إلى فضاء الوضوح، وقيل: هو الدليل الذي يوصل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظن، وقيل: هو العلم الحاصل من الدليل».^(٦٩) ومن خلال العنوان الذي وسم الإمام الطبري به تفسيره، ومن خلال تصريحه في قوله: «ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه، مُنْشِئُونَ، إن شاء الله ذلك، كتاباً مُسْتَوْعِباً لكلِّ ما بالناس إليه الحاجة من علمه، جامعاً، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافياً، ومُخْبِرُونَ في كلِّ ذلك بما انتهَى إلينا من اتفاق الحجة في ما اتَّفَقَتْ عليه منه، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومُبَيِّنُونَ علل كلِّ مذهب من مذاهبهم، ومَوْضِّحُونَ الصحيح لدينا من ذلك»،^(٧٠) نفهم أنه قصد المعاني الاصطلاحية للبيان في تفسيره «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، وبذلك انتهج منهجاً مختلفاً استفاد فيه من علومه ومعارفه، إلى جانب منطقته العقلية في التفسير الذي لم يتوقف على الجانب اللغوي الظاهر، وإنما تعمق إلى أبعد من ذلك فكان هناك جانب ذوقي في استيعاب المعنى واستنباط دلالاته أو ما يفضي

^{٦٣} سورة البقرة: ٦٥.

^{٦٤} تفسير ابن جرير الطبري، ج ٢، ص ٦٦.

^{٦٥} سورة البقرة: ٢٢٩.

^{٦٦} تفسير ابن جرير الطبري، ج ٤، ص ١٦٥.

^{٦٧} لسان العرب، ابن منظور، مادة «بين»، ج ١٣، ص ٦٩.

^{٦٨} التعريفات، للجرجاني (ص: ٤٧).

^{٦٩} معجم مقاييد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، ص ٦٣.

^{٧٠} تفسير ابن جرير الطبري، ج ١، مقدمة المصنف ص ٧.

إليه من معان، فلو أخذنا تفسيره لقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٧١) للمسنا هذا واضحاً وضوح الشمس، يقول: «إن الله، تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه، أدب نبيه محمداً ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحُسنى أمام جميع أفعاله، وتقدّم إليه في وصفه بها قبل جميع مُهمّاته، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه، منه لجميع خلقه سنةً يستنون بها، وسبيلاً يتبعونه عليها، في افتتاح أوائل منطقتهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ على ما بطن من مراده الذي هو محذوف (يعني الفعل المراد القيام به)، وذلك أن الباء من: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾. مُقتضية فعلاً يكون لها جالباً، ولا فعل معها ظاهرٌ، فأغنت سامع القائل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ معرفته بمراد قائله من إظهار قائل ذلك مراده قولاً؛ إذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمراً قد أخضر منطقه به - إمّا معه، وإمّا قبله بلا فصل - ما قد أغنى سامعه من دلالة شاهدة على الذي من أجله افتتح قبله به، فصار استغناء سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه، نظير استغناؤه إذا سمع قائلًا قيل له: ما أكلت اليوم؟ فقال: طعاماً، عن أن يُكرّر المسؤول مع قوله: طعاماً «أكلتُ»، لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه بتقديم مسألة السائل إياه عما أكل. فمعقول إذن أن القائل إذا قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم افتتح تالياً سورةً، أن إنباعه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تلاوة السورة مُنبئ عن معنى قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ومفهوماً به أنه مُريد بذلك: «أقرأ» بسم الله الرحمن الرحيم. وكذلك قوله: «باسم الله» عند نهوضه للقيام، أو عند قعوده، وسائر أفعاله، يُنبئ عن معنى مراده بقوله: «باسم الله»، وأنه أراد بقبيله: «باسم الله»: أقوم باسم الله، وأقعد باسم الله. وكذلك سائر الأفعال. فإن قال لنا قائل: فإن كان تأويل قول الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ما وصفت، والجالب الباء في: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ما ذكرت، فكيف قيل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ بمعنى: «أقرأ» باسم الله، أو «أقوم» باسم الله، أو «أقعد» باسم الله؟ وقد علمت أن كل قارئ كتاب الله، فبعون الله وتوفيقه قراءته، وأن كل قائم أو قاعد أو فاعل فعل، فبالله قيامه وقعوده وفعله؟ (يعنون بذلك أن الله خالق أفعال العبد) وهلاً - إذ كان ذلك كذلك - قيل: بالله الرحمن الرحيم. ولم يُقل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، فإن قول القائل: أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم، أو: أقرأ بالله. أوضح معنى لسامعه من قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، إذ كان قوله: «أقوم، أو أقعد باسم الله» يُوهّم سامعه أن قيامه وقعوده بمعنى غير الله! قيل له، وبالله التوفيق: إن المقصود إليه من معنى ذلك غير ما توهمته في نفسك، وإنما معنى قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، أو: أقرأ بتسميته، أو: أقوم وأقعد بتسميتي الله وذكره، لا أنه يعني بقبيله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: أقوم بالله، أو: أقرأ بالله، فيكون قول القائل: أقرأ بالله، أو: أقوم بالله، أو: أقعد بالله، أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾. فإن قال: فإن كان الأمر في ذلك على ما وصفت، فكيف قيل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، وقد علمت أن الاسم اسم، وأن التسمية مصدر من قولك: سميت؟ قيل له: إن العرب قد تُخرج المصادر مُبهمّة على أسماء مختلفة، كقولهم: أكرمت فلاناً

كرامةً. وإنما بناءً مصدر «أفعلت» - إذا أخرج على فعله - «الإفعال»، وكقولهم: أهنتُ فلاناً هواناً، وكلمته كلاماً. وبناءً مصدر «فعلت»: «التفعيل»، ومن ذلك قول الشاعر:

أَكْفُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمُنَّةَ الرِّتَاعَا

يريد: بعد إعطائك. ومنه قول القائل الآخر:

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً لَقَدْ كُنْتُ فِي طَوْلِي رَجَاءَكَ أَشْعَبَا

يريد: في إطالتي رجاءك. ومنه قول الآخر:

أُظْلِمَ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلُمَ

يريد: إصابتكم. والشواهد في هذا المعنى تكثر، وفي ما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه. فإذا كان الأمر على ما وصفنا من إخراج العرب مصادر الأفعال على غير بناء أفعالها كثيراً، وكان تصديرها إياها على مخارج الأسماء موجوداً فاشياً، فبين بذلك صواب ما قلنا من التأويل في قول القائل «بِسْمِ اللَّهِ» أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول: «أبدأ بتسمية الله قبل فعلي أو قبل قولي»، وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، إنما معناه: «أقرأ مُبْتَدئاً بتسمية الله». أو: «أبتدئ قراءتي بتسمية الله»، فجعل الاسم مكان التسمية، كما جعل الكلام مكان التكليم، والعطاء مكان الإعطاء. وبمثل الذي قلنا من التأويل في ذلك؛ روي الخبر عن عبد الله بن عباس، قال: أول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قال: يا محمد، قل: أَسْتَعِذُّ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ثم قال: قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قال ابن عباس: «بِسْمِ اللَّهِ» يقول له جبريل: يا محمد، اقرأ بذكر الله ربك، وقم واقعد بذكر الله.

وهذا التأويل من ابن عباس يُنبئ عن صحة ما قلنا، من أنه مراد بقول القائل مُفْتَتِحاً قراءته ب: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: أقرأ بتسمية الله وذكره، وأفتتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنَى وصفاته العلى - ويوضح فساد قول من زعم أن معنى ذلك من قائله: بالله الرحمن الرحيم أول كل شيء، مع أن العباد إنما أمروا أن يبتدئوا عند قوايح أمورهم بتسمية الله، لا بالخبر عن عظمتِهِ وصفاته، كالذي أمروا به من التسمية على الذبائح والصيد، وعند المَطْعَمِ والمَشْرَبِ، وسائر أفعالهم. فذلك الذي أمروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله، وصدور رسائلهم وكتيبهم. ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة أن قائلًا لو قال، عند تذكّيته بعض بهائم الأنعام: بالله، ولم يقل: «باسم الله»، أنه مخالفت بتركه قول: «باسم الله» ما سن له عند التذكية من القول، فقد علم بذلك أنه لم يرد بقوله: «باسم الله»: «بالله» كما قال الزاعم أن اسم الله في قول الله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» هو الله؛ لأن ذلك لو كان كما زعم، لوجب أن يكون القائل عند تذكّيته ذبيحته: «بالله» قائلًا ما سن له من القول على الذبيحة. وفي إجماع الجميع على أن قائل ذلك تارك ما سن له من القول على ذبيحته إذا لم يقل: باسم الله - دليل واضح على فساد ما ادعى من التأويل في قول القائل: باسم الله. أنه مراد به بالله، وأن اسم الله هو الله. فإن قال لنا قائل: «فما أنت قائل في بيت لبيد: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فقد تأوله مُقَدِّم في العلم بلغة العرب (يعني أبا عبيدة، في مجاز القرآن ج ١/ ص ١٦) أنه معني به: ثم السلام عليكما، وأن اسم السلام هو السلام». قيل له: لو جاز ذلك وصح تأويله فيه على ما تأول، لجاز أن يقال: رأيتُ اسم زيد، وأكلتُ اسم الطعام، وشربتُ اسم الشراب. وفي إجماع جميع العرب على إحالة ذلك، ما يُنبئ عن فساد تأويل من تأول قول لبيد: «ثم اسم السلام عليكما» أنه أراد: «ثم السلام عليكما». وإدعائه أن إدخال الاسم في ذلك وإضافته إلى السلام، إنما جاز إذ كان اسم المُسمَّى هو المُسمَّى بعينه.

وَيُسَالُ الْقَائِلُونَ قَوْلَ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ هَذَا؟ فَيَقَالُ لَهُمْ: أُنَسَّجِيزُونَ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنْ يَقَالَ: أَكَلْتُ اسْمَ الْعَسَلِ. يَعْنِي بِذَلِكَ: أَكَلْتُ الْعَسَلِ. كَمَا جازَ عِنْدَكُمْ: اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكَ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ. خَرَجُوا مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَأَجَازُوا فِي لُغَتِهَا مَا تُحْطِئُهُ جَمِيعُ الْعَرَبِ فِي لُغَتِهَا. وَإِنْ قَالُوا: لَا. سُئِلُوا الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا، فَلَنْ يَقُولُوا فِي أَحَدِهِمَا قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمُوا فِي الْآخَرِ مِثْلَهُ. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِ لَبِيدٍ هَذَا عِنْدَكَ؟ قِيلَ لَهُ: يَحْتَمِلُ ذَلِكَ وَجْهَيْنِ، كِلَاهُمَا غَيْرُ الَّذِي قَالَهُ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ؛ أَحَدُهُمَا: أَنْ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَبِيدٌ عَنَى بِقَوْلِهِ: «ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا»: ثُمَّ أُلْزِمَا اسْمَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَدَعَا ذِكْرِي وَالْبَكَاءَ عَلَيَّ. عَلَى وَجْهِ الْإِغْرَاءِ. فَرَفَعَ الْاسْمَ إِذْ أَخَّرَ الْحَرْفَ الَّذِي يَأْتِي بِمَعْنَى الْإِغْرَاءِ، وَقَدْ تَفَعَّلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ إِذَا أَخَّرَتِ الْإِغْرَاءَ وَقَدَّمَتِ الْمُغْرَى بِهِ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَنَصَّبَتْ بِهِ وَهُوَ مُؤَخَّرٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

يَا أَيُّهَا الْمَانِحُ دَلَوِي دُونَكَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ

فَأَغْرَى بـ «دُونَكَ» وَهِيَ مُؤَخَّرَةٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: دُونَكَ دَلَوِي. فَكَذَلِكَ قَوْلُ لَبِيدٍ: «إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا» يَعْنِي: ثُمَّ عَلَيْكُمَا اسْمُ السَّلَامِ. أَيُّ: أُلْزِمَا ذِكْرَ اللَّهِ، وَدَعَا ذِكْرِي وَالْوَجْدَ بِي؛ لِأَنَّ مَنْ بَكَى حَوْلًا عَلَى امْرَأَةٍ مَيِّتَةٍ فَقَدْ اغْتَدَرَ. فَهَذَا أَحَدُ وَجْهَيْهِ. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ مِنْهُمَا: ثُمَّ تَسْمِيَتِي اللَّهُ عَلَيْكُمَا، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِلشَّيْءِ يَرَاهُ فَيُعْجِبُهُ: اسْمُ اللَّهِ عَلَيْكَ، يُعَوِّدُهُ بِذَلِكَ مِنَ السُّوءِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْكُمَا مِنَ السُّوءِ، وَكَأَنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ أَشْبَهُ الْمَعْنَيْنِ بِقَوْلِ لَبِيدٍ. وَيُقَالُ لِمَنْ وَجَّهَ بَيْتَ لَبِيدٍ هَذَا إِلَى أَنْ مَعْنَاهُ: «ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمَا» أَتَرَى مَا قُلْنَا مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ جَائِزًا، أَوْ أَحَدَهُمَا، أَوْ غَيْرَ مَا قُلْتَ فِيهِ؟ فَإِنْ قَالَ: لَا. أَبَانَ مِقْدَارَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِتَصَارِيفِ وَجْهِهِ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَأَغْنَى خَصَمَهُ عَنْ مَنَاطِرَتِهِ. وَإِنْ قَالَ: بَلَى. قِيلَ لَهُ: فَمَا بُرْهَانُكَ عَلَى صِحَّةِ مَا ادَّعَيْتَ مِنَ التَّأْوِيلِ أَنَّهُ الصَّوَابُ دُونَ الَّذِي ذَكَرْتُ أَنَّهُ مُحْتَمَلُهُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يُلْزِمُنَا تَسْلِيمَهُ لَكَ؟ وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ»^(٧٢). وَبِذَلِكَ رَدَ الْإِمَامُ ابْنَ جَرِيرٍ تَفْسِيرَ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالْحُجَّةِ وَإِنْ كَانَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ فِيهِ مِنَ الْمَجَازِ.

وَعَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ يَتَوَسَّعُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ حَتَّى يَشْبَعِ الْعِبَارَةُ بَحْثًا وَاسْتِقْصَاءً وَيَجْلِي الْمَعْنَى بَيَانًا. «وَنَحْنُ إِذَا تَأَمَّلْنَا مَقْصِدَ الطَّبْرِيِّ مِنْ كِتَابِهِ، وَهُوَ تَبْيِينُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَاسْتِقْصَاءُ وَجْهِهِ تَأْوِيلَهُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْمَطَالِبِ الَّتِي ظَهَرَتْ وَانْتَشَرَتْ فِي مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، لَرُبَّمَا قُلْنَا: لَا يَزَالُ تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ مِنْ أَوْعَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَأَجْمَعُهَا، وَالزِّيَادَاتُ عَلَى مَا فِيهِ قَلِيلَةٌ، وَلَا تَتَّسِمُ بِالتَّحْرِيرِ ذَاتَهُ وَالتَّأْوِيلِ لِلْمَعَانِي الَّتِي يَتَّسِمُ بِهَا تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ؛ بَلْ إِنَّ الْمَسَاحَةَ الَّتِي قَطَعَهَا فِي تَفْسِيرِهِ، وَجَلَّاهَا بِتَأْوِيلِهِ وَتَحْرِيرِهِ صَارَتْ تُتَنَاقَلُ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ دُونَ تَدْقِيقٍ وَتَعْمِيقٍ، اعْتِمَادًا عَلَى مَا أَصَلَّهُ الطَّبْرِيُّ وَحَرَّرَهُ»^(٧٣).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٧٤) ذَكَرَ الْمَأْثُورُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾؛ فَعَنْ قِتَادَةَ: يَعْنِي بِذَلِكَ: مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ حَقًّا وَصِدْقًا، لَا بَاطِلَ فِيهِ وَلَا كَذِبَ. وَعَنْ أَيْضًا: يَقُولُ: بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: مِثْلُ الْقُرْآنِ. ثُمَّ قَالَ: فَمَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقِتَادَةَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْهُمَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ قَالَ لِمَنْ حَاجَّه لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْكُفَّارِ: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، مِنْ كَلَامِكُمْ أَيُّهَا الْعَرَبُ، كَمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ بِلُغَاتِكُمْ وَمَعَانِي مَنْطِقِكُمْ. وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ آخَرُونَ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾: مِنْ مِثْلِ مُحَمَّدٍ مِنْ

^{٧٢} تفسير ابن جرير الطبري، ج ١، ص ١١١ - ١٢٠.

^{٧٣} شرح مقدمة الطبري، مساعد الطيار، ص ١٠١ - ١٠٢.

^{٧٤} سورة البقرة: ٢٣.

البشر؛ لأنَّ محمداً بشرٌ مثلكم. والتأويلُ الأوَّلُ الذي قاله مجاهدٌ وقتادةٌ هو التأويلُ الصحيحُ؛ لأنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه قال في سورةٍ أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٧٥)، ومعلومٌ أنَّ السورةَ ليست لمحمدٍ ﷺ بنظيرٍ ولا شبيهٍ فيجوزُ أن يقال: فأتوا بسورةٍ مثلِ محمدٍ. فإن قال لنا قائلٌ: إنك ذكرت أن اللهَ عني بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾: «من مثلِ هذا القرآن»، فهل للقرآنِ من مثلٍ فيقال: ائتوا بسورةٍ من مثله؟ قيل له: إنه لم يعن به: ائتوا بسورةٍ من مثله في التأليفِ والمعاني التي باين بها سائرُ الكلامِ غيره، وإنما عني: ائتوا بسورةٍ من مثله في البيان، لأن القرآنَ أنزله الله بلسانٍ عربيٍّ، وكلامُ العربِ - لا شك - له مثلٌ في معنى العربية، فأما في المعنى الذي باين به القرآنُ سائرَ كلامِ المخلوقين، فلا مثلَ له من ذلك الوجه ولا نظيرَ ولا شبيه، وإنما احتجَّ جلَّ ثناؤه عليهم لنبيِّه محمدٍ ﷺ بما احتجَّ به له عليهم من القرآن، إذ ظهرَ عجزُ القومِ عن أن يأتوا بسورةٍ من مثله في البيان، إذ كان القرآنُ بياناً مثلَ بيانهم، وكلاماً نزلَ بلسانهم، فقال لهم جلَّ ثناؤه: وإن كنتم في ريبٍ من أن ما أنزلتُ على عبيدي من القرآنِ من عندي، فأتوا بسورةٍ من كلامكم الذي هو مثله في العربية، إذ كنتم عرباً، وهو بيانٌ نظيرُ بيانكم، وكلامٌ شبيهُ كلامكم. فلم يكلفهم جلَّ ثناؤه أن يأتوا بسورةٍ من غيرِ اللسانِ الذي هو نظيرُ اللسانِ الذي نزلَ به القرآن، فيقدروا أن يقولوا: كلَّفنا ما لو أحسنَّه أتينا به، وإنا لا نقدرُ على الإتيانِ به؛ لأننا لسنا من أهلِ اللسانِ الذي كلَّفنا الإتيانَ به، فليس لك علينا بهذا حجةٌ؛ لأننا، وإن عجزنا عن أن نأتيَ بمثله من غيرِ ألسِننا - لأننا لسنا من أهله - ففي الناس خلقٌ كثيرٌ من غيرِ أهلِ لساننا يقدرُ على أن يأتيَ بمثله من اللسانِ الذي كلَّفنا الإتيانَ به. ولكنه جلَّ ثناؤه قال لهم: ائتوا بسورةٍ من مثله؛ لأن مثله من الألسنِ ألسنكم، وأنتم - إن كان محمدٌ اختلقه وافتراه - إذا اجتمعتم وتظاهرتُم على الإتيانِ بمثلِ سورةٍ منه من لسانكم وبيانكم، أقدِرُ على اختلاقه ورصفه وتأليفه من محمدٍ ﷺ، وإن لم تكونوا أقدِرَ عليه منه، فلن تعجزوا وأنتم جميعٌ عما قدرَ عليه محمدٌ ﷺ من ذلك وهو وحيدٌ، إن كنتم صادقين في دَعواكم وزعمكم أن محمداً ﷺ افتراه واختلقه وأنه من عندِ غيري». ^(٧٦) «وهذا كلامٌ دقيقٌ جداً، فقد بيَّن الطبري المثلية المرادة، وهي الإتيانِ بمثله من جهةِ البيان، فوجه التحدي مرتبط بالبيان وليس بالموضوعات التي جاء بها القرآن، لأن الموضوعات التي جاء بها القرآن لا يمكن الإتيان بها أصلاً، وفائدة هذا الكلام فك الجهة المتحدى بها، فبعض من تكلم في التحدي أتى ببعض الأمور مما لم يقع بها التحدي، والوجه المتحدى به، في رأي الطبري، هو ما يرتبط بالبيان، ومعرفة هذا الأمر يفك كثيراً من اللبس في مسألة الإعجاز ووجهها». ^(٧٧)

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٧٨) قال الطبري: يقولُ تعالى ذكره مُعْجَباً خلقه المؤمنين من كفرٍ عباده، ومُحْتَجّاً على الكافرين: إن الإله الذي يَجِبُ عليكم أيُّها الناسُ حمده، هو الذي خلقَ السماواتِ والأرضَ، الذي جعلَ منهما مَعاشِكم وأقواتكم وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم، فمن السماواتِ ينزلُ عليكم الغيثُ، وفيها تَجْرى الشمسُ والقمرُ باعتقابٍ واختلافٍ لمصالحكم، ومن الأرضِ يَنْبُتُ الحبُّ الذي به غذاؤكم، والثمارُ التي فيها ملائكم، مع غير ذلك من الأمور التي فيها مصالحكم ومنافعكم بها، والذين يَجْحَدون نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من خلقٍ ذلك لهم ولكم أيُّها الناسُ ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ الذي فعل ذلك وأخذته ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يَجْعَلون له شريكاً في عبادتهم إياه، فيَعْبُدون معه الآلهة

^{٧٥} سورة يونس: ٣٨.

^{٧٦} تفسير ابن جرير الطبري، ج ١، ص ٣٩٥ - ٣٩٩.

^{٧٧} شرح مقدمة تفسير الطبري، مساعد الطيار، ص ١٢٥.

^{٧٨} سورة الأنعام: ١.

والأندَادَ والأصْنَامَ والأوثانَ، وليس منها شيءٌ شرَّكَه في خلق شيءٍ من ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفردُ بذلك كُلِّه، وهم يُشْرِكُونَ في عبادتهم إياه غيره. فسبحانَ الله ما أبلغها من حجةٍ، وأوجزها من عِظَةٍ، لمن فكَّرَ فيها بعقلٍ، وتدبَّرَها بفهمٍ! ولقد قيل: إنها فاتحةُ التوراةِ. (٧٩) ثم «قال: القولُ في تأويل قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾: (٨٠) يقول تعالى ذكره: فقال هؤلاء المُكذِّبونَ بآياتي، العادلون بى الأندادَ والآلهةَ، يا محمدُ لك - لو دعوتهم إلى توحيدى، والإقرارِ بربوبيتي، وإذا أُتيتهم من الآياتِ والعبرِ بما أُتيتهم به، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم، مما قطعْتَ به عذرَهم -: هَلَّا نُزِّلَ عَلَيْكَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ في صورته، يُصَدِّقُكَ على ما جئتنا به، وَيَشْهَدُ لَكَ بِحَقِيقَةِ مَا تَدَّعَى، مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا». (٨١) فوصفهم في الآية الثامنة بما جاء في الآية الأولى: (العادلين بربهم)، «ويستمر في التذكير بارتباط الآيات بعدها بالآية الأولى، فيستخدم لفظ (العادلين بربهم) ليربطها بقوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، ثم يأتي بها في الآيات (٩، ١١، ١٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤١، ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٥٨، ٦٣) إلى أن تجدها في آية (٦٤) ليدل على أن السياق لا يزال يتحدث عن الذين يعدلون بربهم وورد ذكرهم في الآية الأولى». (٨٢) وهذا من نباهة الإمام الطبري، وربطه المعاني ببعضها وبيان أسباب اتصالها، وهو من البيان الذي قصد إليه في تفسيره، ويلمسه واضحاً جلياً كل من يقرأ تفسيره. وكما لم أجد للإمام الواحدي شيئاً في الجانب الدلالي للأساليب النحوية، من تقديم وتأخير وحذف وغيرها من أبواب علم الدلالة، فكذاك الإمام الطبري لم أجد له شيئاً في ذلك، ولم أعثر له كذلك على وقفة دلالية عند رؤوس الآيات، وإنما كان يتناولها لغوياً، وفي تفسير الآية: (وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٨٣) قال: «والله عزيزٌ في انتقامه من هذا السارق والسارقة وغيرهما من أهل معاصيه، حكيمٌ في حُكْمِهِ فيهم وقضائه عليهم. يقول: فلا تُفَرِّطُوا أيُّها المؤمنون في إقامة حُكْمِي على السُّرَّاق وغيرهم من أهل الجرائم الذين أوجبت عليهم حدوداً في الدنيا عقوبةً لهم، فإنى بحُكْمِي قُضِيَ ذلك عليهم، وعلمي بصلاح ذلك لهم ولكم». (٨٤) ولم يذكر قصة الأصمعي التي ذكرها الإمام الواحدي، مع جمال دلالتها واتصالها بجانب البيان القرآني، مع يقيني بأن الإمام الطبري ل يجهلها، لكن يبدو أن تركيزه كان في غير هذا الجانب، وقد صل في شأن الحكم المترتب في الآية بأقل مما فصل فيه الإمام الواحدي. وعلى كل حال فإن تفسير الإمام ابن جرير الطبري كما قيل فيه من سعة وتوضيح، وكما قال هو من بيان، رحمه الله ونفعنا والمسلمين بعلمه، وجزاه عنا وعن المسلمين خيراً.

المحور الثالث

المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين: دراسة مقارنة

«المفردة» لغةً: الواحدة، «الفاء والراء والذال أصل صحيح يدل على وحدة. ومن ذلك الفرد وهو الوتر. والفارد والفرد: الثور المنفرد. وظيفية فارد: انقطعت عن القطيع... والفريد: الدر إذا نظم وفصل

^{٧٩} تفسير ابن جرير الطبري، ج ٩، ص ١٤٦ - ١٤٧.

^{٨٠} سورة الأنعام: ٨.

^{٨١} تفسير ابن جرير الطبري، ج ٩، ص ١٦٠.

^{٨٢} شرح مقدمة تفسير الطبري، مساعد الطيار، ص ٤ - ٤١.

^{٨٣} سورة المائدة: ٣٨.

^{٨٤} تفسير ابن جرير الطبري، ج ٨، ص ٤١٠.

بينه بغيره.^(٨٥) واصطلاحاً: الكلمة هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد؛ فـ«الموضوع لمعنى» أخرج المهمل كـ«ديز»، و«مفرد» أخرج «الكلام» فإنه لمعنى غير مفرد.^(٨٦)

المفردة القرآنية: «عندما نضيف المفردة إلى القرآن نجد أنها ليست كائناً معجمياً فقط، بل إنها تتضمن معاني جديدة يقتضيها الموضوع، كما أنها تتميز بأدائها المعنى المراد بحيث لا يمكن نزعها من مكانها أو استبدالها بغيرها، كما قال ابن عطية: «كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد».^(٨٧) و«ألفاظ القرآن لا تخرج عن خمس مراحل، وهي: الأول: أن تأتي اللفظة على الأصل الاشتقاقي. والثاني: أن تأتي اللفظة على الاستعمال الغالب عند العرب، وفي هذه الحال يكون فيها معنى الأصل الاشتقاقي. والثالث: أن يكون لللفظة استعمال سياقي، وهو ما استفاد منه أصحاب «الوجوه والنظائر» فركبوا كتبهم منه. والاستعمال السياقي قد يرجع إلى أصل اللفظة الاشتقاقي، وقد يرجع إلى المعنى الغالب في استعمال اللفظة عند العرب، وهو على كل الأحوال لا يخلو من الأصل الاشتقاقي. والرابع: المصطلح الشرعي، وهذا كثير في القرآن، والمقصود به أن يكون استخدام اللفظ في القرآن والسنة على معنى خاص؛ كالصلاة والزكاة والحج والجهاد، وغيرها. والمصطلح الشرعي لا بد أن يكون راجعاً من جهة المعنى إلى الأصل الاشتقاقي، وقد يكون راجعاً إلى أحد المعاني التي غلب استعمال اللفظ فيها عند العرب. والخامس: المصطلح القرآني، وهو أخص من المصطلح الشرعي ومن الاستعمال السياقي؛ لأن المراد به أن يكون اللفظ في القرآن جائياً على معنى معين من معاني اللفظ، فيكون معنى اللفظ الأعم قد خُص في القرآن بجزء من هذا المعنى العام، أو يكون له أكثر من دلالة لغوية فتكون إحدى الدلالات هي المستعملة لهذا اللفظ في القرآن».^(٨٨)

و«من المعلوم أن أول ما ينبغي أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات القرآن الكريم من أوائل المعارف لمن يريد أن يدرك معانيه».^(٨٩) فهو أول ما ينبغي أن يشتغل به طالب العلم في تفسير كتاب الله عز وجل.

المفردة القرآنية أربعة أنواع:

- ١- مفردة يعرف معناها جميع أهل اللسان العربي، كالشمس، والقمر، والسماء، والأرض.
- ٢- مفردة يخفى معناها على بعض العرب لقلة استعمالها أو اختصاصها بقبيلة دون أخرى، قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، يقول أنا ابتدأتها.^(٩٠)
- ٣- مفردة يراد بها المصطلح الشرعي، كالصلاة والصيام والزكاة، «والمفردة إذا دارت بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية فُهمت على الحقيقة الشرعية».^(٩١)
- ٤- مفردة يراد بها المصطلح القرآني، أي أن تأتي مفردة في القرآن على معنى معين من معاني اللفظ المتعددة، فيكون اللفظ العام قد خص في القرآن بجزء من هذا المعنى، «مثلاً مفردة «زعم»: قال الأزهري: قال جمع من أهل العلم إن «زعم» تطلق على مطلق القول، لكنك إذا تتبعته في القرآن الكريم

^{٨٥} مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ٤، ص ٥٠٠.

^{٨٦} شرح ابن عقيل، ج ١، ص ٥.

^{٨٧} شرح المفردة القرآنية، خالد سعيد أحمد البسيوني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد ٣٤، ص ٥٦٣.

^{٨٨} المفردة القرآنية؛ المراحل التي تمرُّ بها حال تفسيرها، مساعد الطيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

^{٨٩} المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين، سامي مسعود الجعيد، ص ٦.

^{٩٠} تفسير ابن جرير الطبري، ج ٩، ص ١٧٥.

^{٩١} المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين، سامي مسعود الجعيد، ص ١٥.

تجد أنها قد استخدمت في باب الكذب فقط، كما في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾.^(٩٢) وهذا النوع المفردة التي يراد بها المصطلح القرآني لا يمكن الرجوع إليها إلا بالاستقراء التام لمفردات القرآن الكريم، ويمكن أن نلحق بهذا النوع المفردات التي لا يعرف معناها إلا من بيان أهل التفسير، مثل لفظة «سلسبيل»، نقل عن ابن الأعرابي قوله: لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن، ويمكن أن وأطلق عليها ابن عاشور «مبتكرات القرآن الكريم»، وذكر ٢٨ كلمة من هذا الصنف ذكرت في القرآن ولا تعرفها العرب، وأسماها السمرقندي: «ما جاء عن أهل التفسير ولا يوجد له أصل عند النحويين ولا في اللغة» فلا يعرف بيانها إلا من أهل التفسير وابن دريد في «جمهرة اللغة» عند حديثه عن مفردة «السكر»، ذكر مثل ذلك، وكذلك أبو عبيدة والنحاس: عند مفردة «تفثهم»، ومعانيها لا تعرف إلا من جهة أهل التفسير.^(٩٣) وقد انقسم العلماء في تناول المفردة القرآنية فريقين:

١- اللغويون: الذين تعاملوا مع المفردة القرآنية بمعناها اللغوي الأصلي المعجمي، مولين عنايتهم للنحو والصرف والبلاغة. وكان بعضهم يرد المأثور إذا تعارض مع المعنى اللغوي، كما فعل أبو عبيدة مع قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا﴾^(٩٤) ففي أحد قولي ابن عباس أن المتكأ هو الأترج.^(٩٥) وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: المتكأ هو النمرق يُتَكأ عليه. وقال: زعم قوم أنه الأترج. قال: وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه.^(٩٦) إلا أن المفسرين جمعوا بين اللغة والمأثور، فقال الطبري: «وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبي عبيدة هذا، ثم قال: والفقهاء أعلم بالتأويل منه. ثم قال: ولعله بعض ما ذهب من كلام العرب، فإن الكسائي كان يقول: قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله. والقول في أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة، كما قال أبو عبيد، لا شك فيه، غير أن أبا عبيدة لم يبعُد من الصواب في هذا القول، بل القول كما قال، من أن من قال للمتكا: هو الأترج، إنما بين المَعْد في المجلس الذي فيه المتكأ، والذي من أجله أُعْطِيَ السكاكين؛ لأن السكاكين معلوم أنها لا تُعَدُّ للمتكا إلا لتخريقه، ولم يُعْطَيْنِ السكاكين لذلك. ومما يبيِّن صحة ذلك القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، من أن المتكأ هو المجلس (وهو القول الثاني لابن عباس).»^(٩٧)

٢- المفسرون: الذين قدّموا المأثور على المعجم، فعنايتهم به أولاً، والمأثور يشمل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير النبي ﷺ لبعض مفرداته، وتفسير الصحابة ومن بعدهم في القرون الثلاثة التي أشار إليها النبي ﷺ، وفيه مراعاة أسباب النزول والمقام، وموقع المفردة في سياقها.

مصادر الفريقين في بيان المفردة القرآنية:

١- تفسيرها بالقرآن: وقد يفهم من سياق الآية أو يتبين في آية أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ التَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾^(٩٨)

^{٩٢} سورة التغابن: ١٧.

^{٩٣} المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين، سامي مسعود الجعيد، ص ١٥-١٦ (بتصرف).

^{٩٤} سورة يوسف: ٣١.

^{٩٥} تفسير ابن جرير الطبري، ج ١٣، ص ١٢٦ و ١٢٨.

^{٩٦} مجاز القرآن لأبي عبيدة ج ١، ص ٣٠٩.

^{٩٧} تفسير ابن جرير الطبري ج ١٣، ص ١٢٥.

^{٩٨} سورة الطارق: ١-٣.

٢- تفسيرها بالسنة النبوية: كتفسيره ﷺ «الظلم» في قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»^(٩٩) بـ«الشرك»، لقوله تعالى: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»^(١٠٠) ذكره الطبري.^(١٠١)

٣- تفسيرها بأقوال السلف: ونجده كثيراً عند المفسرين بنسبة القول التفسير إلى ابن عباس، أو علي بن أبي طالب، أو عبد الله بن مسعود أو أبي أيوب الأنصاري، أو غيرهم من الصحابة، رضي الله عنهم، أو إلى تلاميذهم من التابعين كالحسن البصري وسعيد بن جبير وتابعي التابعين كعبد الله بن المبارك وغيره.

٤- تفسيرها بالاصطلاح اللغوي: وهو المعنى المعجمي الذي معناها في استخدام العرب أو بعضهم لها.

٥- التفسير بالرأي: ويأتي بحسب سعة علم المفسر واجتهاده في تقصي المعنى اللغوي للمفردة، والأسلوب البياني، والمقارنة بين الأقوال، والترجيح، والاستنباط، وقد يخطئ وقد يصيب. ومن ذلك تفسير ابن كثير.

وقد اجتهد الفريقان في الاعتماد على هذه المصادر، وفاق المفسرون اللغويين في الأخذ من السنة، لتعمقهم في علم الحديث وقلة علم اللغويين به، كما «فاقوهم في مجال التفسير بالرأي، أما في بيان الأصل اللغوي للمفردة واشترائها مع مفردة أخرى بالمعنى، فقد تفوق فيه اللغويون».^(١٠٢)

موقف الفريقين من الأحوال والقرائن المتعلقة بالمفردة القرآنية:

١- موقفهم من طريقة القرآن ومعهود استعماله: بما أن القرآن كلام الله عز وجل، فلا ريب أنه بلغ الكمال المطلق لفظاً ومعنى وأسلوباً وتأثيراً، وقد شهد ببلاغته وفصاحته وعلوه على أصناف الكلام أعداؤه، كالوليد بن المغيرة، الذي قال: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه»^(١٠٣) «فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به... ولا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي».^(١٠٤) «ومن هنا فقد دأب المفسرون على طريقة القرآن ومعهوده، وذأبهم كان أكثر من اللغويين، ذلك أن نظرهم إلى القرآن بوصفه وحدة موضوعية أدى إلى النظرة الشمولية إلى المفردة القرآنية حيث وجدت. ويتضح ذلك في تفسير الشنقيطي لكلمة «زينة» في قوله تعالى: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا»^(١٠٥) فذكر الخلاف ثم قال: لفظ الزينة يكثر تكراره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها... وكون هذا المعنى هو الغالب في لفظ الزينة في القرآن فإنه يدل على أن لفظ الزينة في محل النزاع يراد به هذا المعنى الذي غلبت إرادته في القرآن العظيم».^(١٠٦)

^{٩٩} سورة الأنعام: ٨٢.

^{١٠٠} سورة لقمان: ١٣.

^{١٠١} تفسير ابن جرير الطبري، ج ٩، ص ٣٧٠. وأحاله المحقق إلى صحيح البخاري، برقم ٣٤٢٩، وصحيح مسلم، (١٢٤/ ١٩٨).

^{١٠٢} المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين، سامي مسعود الجعيد، ٢٠-٢١. (بتصرف).

^{١٠٣} دلائل النبوة، البيهقي (١٩٨/٢)، ويُنظر: دلائل الإعجاز، للجرجاني (٥٨٥/١). (موسوعة الدرر السنية: <https://dorar.net/arabia/2156>).

^{١٠٤} بدائع الفوائد، ابن القيم، ج ٣، ص ٨٧٧.

^{١٠٥} سورة النور: ٣١.

^{١٠٦} المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين، سامي مسعود الجعيد، ص ٤٠-٤١.

٢- موقفهم من أحوال وعادات من نزل فيهم القرآن: إن صحة بيان المفردة القرآنية مرتبط بفهم الواقع الذي نزلت فيه والأحداث التي واكبتها، فكان حقاً على المشتغل بتفسير القرآن أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، وما كان الصحابة يفهمونه من الرسول ﷺ عند سماع تلك الألفاظ». (١٠٧) فإن لم يفعل «وقع في الشُّبُه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها» (١٠٨) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ () قال أسلم أبي عمران: غزونا القُسْطَنْطِينِيَّةَ، والروم مُلْصِقُونَ ظُهورَهم بحائطِ المدينة، فحمل رجلٌ منا على العدو، فقال الناس: مه! لا إله إلا الله، يُلقِي بيده إلى التَّهْلُكَةِ. فقال أبو أيوب الأنصاري: إنما تَأُولُونَ هذه الآية هكذا أن حمل رجلٌ يُقَاتِلُ يَلْتَمِسُ الشهادةَ أو يُبْلِي مِنْ نفسه، إنما نزلت هذه الآية فينا معشرَ الأنصار، إنا لما نصر الله نبيّه، وأظهر الإسلامَ، قلنا بيننا معشرَ الأنصار، خَفِياً من رسولِ الله ﷺ: إِنَّا قَدْ كُنَّا تَرَكْنَا أَهْلَنَا وَأَمْوَالَنَا أَنْ نُقِيمَ فيها ونُصْلِحَهَا حتى نصر الله نبيّه، هَلُمَّ نقيم في أموالنا ونُصْلِحَهَا. فأنزل الله الخبرَ مِنَ السماءِ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، والإلقاء بالأيدي إلى التَّهْلُكَةِ أن نُقيم في أموالنا ونُصْلِحَهَا، ونَدَعَ الجهادَ. قال أبو عمران: فلم يَزَلْ أبو أيوب يُجاهدُ في سبيلِ الله حتى دُفِنَ بالقُسْطَنْطِينِيَّةِ. (١٠٩)

٣- موقفهم من قرينة السياق: إن معنى المفردة يرتبط بموقعها في السياق، فقد يخرج عن المعنى اللغوي إلى معنى مجازي أو دلالي غير المعنى المشهور، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (١١٠) للمفسرين أقوال في «مسحور»: «المسحور: الذي قد سحر فاختلط عليه أمره، وأزيل عن حد الاستواء، هذا قول أكثر أهل اللغة». (١١١) وتأتي بمعنى «الرئة» «وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب له إلى معنى: ما تَتَّبِعُونَ إلا رجلٌ له سحر؛ أي له رئة، والعربُ تُسَمِّي الرئة سَحْرًا، والسحرُ من قولهم للرجل إذا جُبِن: قد انتَفَخَ سَحْرُهُ». (١١٢) قال به أبو عبيدة من اللغويين، إلا أن السياق يوضح أن المعنى المراد هو الأول «هو قولهم مسحور، ساحر، مجنون، متكهن، لأنه لم يكن عندهم متيقناً بأحد هذه، وإنما كانت منهم على جهة التشبيه، ثم رأى الوليد بن المغيرة أن أقرب هذه الأمور على تخيل الطارين عليهم هو أنه ساحر». (١١٣)

طريقة الفريقين في عرض وبيان المفردة القرآنية:

طريقة اللغويين: «جاءت كتب المفسرين أكثر تناولاً للمفردات القرآنية من كتب المعاني، ذلك أن قصد الأولين هو بيان جميع آي القرآن، بخلاف المعاني التي لم تُتناول من آي القرآن ما كان مشكلاً، كما ذكر الفراء، أو ما كان محتاجاً إلى بيان، كما هو قصد الزجاج، ولم يكتف اللغويون بذلك، بل ربما ساقوا شاهداً من كلام العرب شعراً أو نثراً، وكثر عندهم شرح الشاهد، والمفسرون دونهم في ذلك، وقد يستطرد بعض اللغويين فيذكر الظواهر الصوتية للمفردة، وهو أمر نادر عند المفسرين». (١١٤)

١٠٧ المصدر السابق، ص ٤٢.

١٠٨ الموافقات، للشاطبي، ج ٤، ص ١٥٤.

١٠٩ تفسير ابن جرير الطبري، ج ٣، ص ٣٢٢.

١١٠ سورة الإسراء: ٤٧.

١١١ التفسير البسيط، الواحدي، ج ١٣، ص ٥٣.

١١٢ تفسير ابن جرير الطبري، ج ١٤، ص ٦١٢.

١١٣ تفسير ابن عطية، ج ٣، ص ٤٦٢.

١١٤ المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين، سامي مسعود الجعيد، ص ٥١-٥٢.

طريقة المفسرين: أفاد المفسرون من اللغويين في عرض المفردة القرآنية، إلا أنهم توسعوا في البيان اللغوي، فتطرقوا إلى أصل المفردة، وتعرضوا لاشتقاقها، وربما تكلموا على بنيتها^(١١٥) ومن ذلك مفردة «لُعُوءًا» في معاني القرآن للأخفش، ومفردة «عَوَانُ» في معاني القرآن للفراء، ومفردة «لَأَعْنَتَكُمْ»، ومفردة «ألد» في معاني القرآن للنحاس. «وقد يذكر الفريقان القراءات التي وردت فيها المفردة القرآنية، ويتجاوز المتواترة إلى الشاذة، والفريقان يشتركان في إعراب المفردة القرآنية، إلا أن اللغويين أظهروا ذلك بوضوح، إذ إن الإعراب مقصد رئيس من مقاصد تأليفهم كتبهم، أما توجيه القراءات في الاستدلال على معاني المفردة فيبدو في كتب المفسرين أكثر منه في كتب اللغويين، وانفرد المفسرون بذكر الوجوه والنظائر». (١١٦)

خاتمة:

وهكذا يتضح لنا أن كلاً من اللغويين والمفسرين سعوا إلى تجلية المعنى المراد من المفردة القرآنية، وقد امتاز كل من الفريقين بأمور فاق فيها الفريق الآخر، وتبين أن أكثر ما تميز به اللغويون هو التفسير اللفظي، في حين أن المفسرين برز لديهم أسلوب المعاني. وأن كلاً من الطرفين خدم القرآن الكريم واللغة من جوانب اهتمامه، وقد وقع بعض اللغويين في أخطاء في جانبين: الأول: رد بعض تفاسير السلف، والإعراض عن المعنى المراد من المفردة في سياقها، معتمدين على المعنى المعجمي والأصل الاشتقاقي للمفردة، في حين عني المفسرون بالمأثور وقدموه على المعنى اللغوي المباشر. غفر الله لنا ولهم، وجزاهم بنياتهم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، وصحبه الطيبين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله

^{١١٥} المصدر السابق، ص ٥١.
^{١١٦} المصدر نفسه، ص ٥٢-٥٣. (بتصرف).

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر بن الجوزي البغدادي، تلبس إبليس، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، من دون تاريخ.

٣- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر بن الجوزي البغدادي، الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، تحقيق نور الدين شكري، ط١، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٤- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط٢، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، مطابع دار الخير، بيروت، لبنان، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٥- ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١٦، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٦- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.

٧- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران، تمويل مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، السعودية، ١٤٢٥ هـ.

٨- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، مصر، من دون تاريخ.

٩- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، من دون تاريخ.

١٠- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١١- الجرجاني، علي بن محمد علي، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، من دون تاريخ.

١٢- الداودي، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، ط٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

١٣- السيوطي، الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير المصري الشافعي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

- ١٤- السيوطي، الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير المصري الشافعي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٥- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات، تحقيق الحسين أيت سعيد، ط١، منشورات البشير بنعطية، فاس، المغرب، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- ١٦- الشاهين، ميثم كريم كاظم، أثر التحليل النحوي في توجيه المعنى التفسيري: تفسير البسيط للواحي نموذجاً، ط١، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، النجف، العراق، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- ١٧- الصاوي، أحمد بن محمد المالكي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، تحقيق عبد الفتاح البزم، ط٢، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٨- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٩- الطيار، مساعد بن سليمان، المفردة القرآنية؛ المراحل التي تمرُّ بها حال تفسيرها، مركز تفسير للدراسات القرآنية، مقالة بملتقى أهل التفسير، بتاريخ ١٤٢٤/٨/٥هـ - ٢٠٠٣/١٠/١م.
- ٢٠- الطيار، مساعد، شرح مقدمة تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ط٢، وقف مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- ٢١- الفارسي، الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، انتخبه إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٢- الفوزان، محمد بن صالح بن عبد الله، التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحي، سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ٢٥ مجلدًا، ١٤٣٠هـ.
- ٢٣- المهدي محمد، جودة محمد، الواحي ومنهجه في التفسير، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، ط١، ١٩٧٨م.

البحوث:

- ٢٤- البسيوني، خالد سعيد أحمد، شرح المفردة القرآنية، عرض ودراسة من خلال تفسير الإمام البيضاوي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد ٣٤.
- ٢٥- الجعيد، سامي بن مسعود، المفردة القرآنية بين اللغويين والمفسرين، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، العدد ٣٧.

